حروف الاضاف

في الاساليب العربي

تأليف

يوسف نمر ذياب

112

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول

مختلف العلوم والفنون والاداب

تصدرها دار الجاحظ للنشر

رئيس التحرير: موسى كريدي

الكتاب القادم: الغذاء

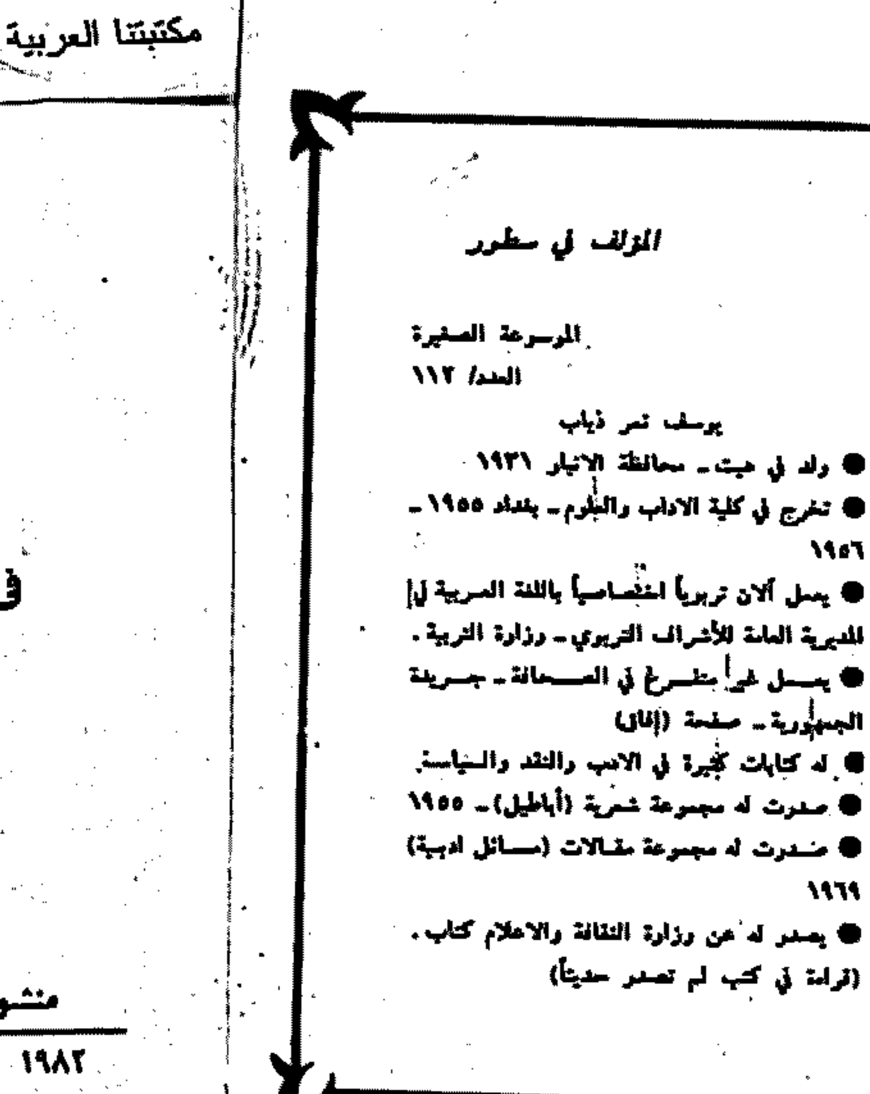
والتطور العلمي للتغذية

تأليف

محمد عبد السعيدي

وحمد مجيد العبيدي

السعر .. ١٠٠ فلسا   دار الحرية للطباعة - بغداد



المؤلف في سطور

الموسوعة الصغيرة
العدد/ ١١٢

يوسف نمر ذياب

- ● ولد في هيت ـ محافظة الانبار ١٩٣١
- ● تخرج في كلية الاداب والعلوم ـ بغداد ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦
- ● يعمل الان تربويا اختصاصيا باللغة العربية في المديرية العامة للأشراف التربوي ـ وزارة التربية.
- ● يعمل محررا متطوعا في الصحافة ـ جريدة الجمهورية ـ صفحة (آفاق)
- ● له كتابات كثيرة في الادب والنقد والسياسة
- ● صدرت له مجموعة شعرية (أباطيل) ـ ١٩٥٥
- ● صدرت له مجموعة مقالات (مسائل ادبية) ١٩٦٩
- ● يصدر له عن وزارة الثقافة والاعلام كتاب. (قراءة في كتب لم تصدر حديثاً)

حروف الاضافة في الأساليب العربية

يوسف نمر ذياب

منشورات دار الجاحظ للنشر ـ بغداد
الجمهورية العراقية ١٩٨٢

رقم الايداع في المكتبة الوطنية بغداد
(١٠٥٠) لسنة ١٩٨٢

المقدمـة

لابد من الاعتراف بان في اساليبنا المعاصرة خطأ غير قليل واضطرابا مخلا سببا ضعفا في نظم الجملة وفي التأليف بين الجمل .

ونحن لانشك في أن لأدبائنا وكتابنا قدراتهم ومواهبهم ، لكننا لانشك ايضا في ان هذه القدرات والمواهب لم تصل الينا في الاغلب ، لقصور عن التمكن من بناء النص الفصيح البليغ وتقصير في تعلم علوم العربية وفقه أسرار أساليبها .

ولسنا بالمتزمتين الداعين الى الالتزام بمـا قال الاولون التزاما لا خروج عنـه قيد انمله . اننا ندرك ان اللغة ، أية لغـة ، مجرى يـترفد ويرفد . ولابد للمتحدثين بها ، في كل عصر ومكان،

من اصطناع أساليب وابتداع ألفاظ تفرضها الحياة الجديدة بتغيراتها الاجتماعية والاقتصاديةوالعلمية والحضارية عامة • على أننا نؤمن بأن للغة العربية جمالا لاسبيل الى الحفاظ عليه الا بالحفاظ على قواعـد التركيب اللغوي ، وضوابط الاسلوب البياني والا بالاتصـال اللازم بالمـوروث الادبي واللغوي • اننا نرى ان نعتمد ، حين نحـدث ، مانحدث من اساليب أو الفاظ ، على اساسين:علمنا المحيط بالاساليب العربية الأصـلة وقواعد اللغة ، وذوقنا الادبي البصير في قبول ما نحدث أو نرفض

وقد رأيت اننا ـ الكتاب والادبـاء ـ في فوضى «غير معقولة» ، وفي عشوائية قد أزمنت، نصرنا نصوغ العبارة كيفما اتفق او نجمـع بين العبارات على غير هدى ، حتى شاع في اساليبنا فساد التركيب ، وغاب عنها رونق التعبير •

وليس من الانصاف ان نحمل الادباء والكتاب وحدهم مسؤولية ما نشكو منه في أساليبهم : فان غياب المتابعة اللغوية ، وركود حركـة التصحيح اللغوي التي كانت نشطة حتى النصف الاول من هذا القرن ، وراء استشراء الداء ايضا • وتلك مسؤولية المختصين باللغة ، والمهتمين بسلامتهـا قبل ان تكون مـسؤولية الكاتب والأديب • ومهما يكن من أمر ، فقد رأيت ـ على علمي المتواضع باللغـة ـ ان أسهم في تنشيط حركـة التصحيح اللغـوي والاسلـوبي ، بهذا البحث في حروف الاضافة « حروف الجر » لما وجدت لدى كتابنا وأدبائنا من (حرية) وحيرة في استعمالها •

والمختصون باللغـة يعلمون ان موضـوع حروف الاضافة من الموضوعات الشائكة في العربية وقيل : في غير العربية من اللغات ؛ وقد ألف النحاة قديما وحديثا كتبا كثيرة في هذا الموضوع ، ولـن

أدخل أو أدخل القاريء بهذا البحث في شعاب حروف الاضافة ، ومسالك النحويين البعيدة في تأويلها ، الا ما يرجح رأيا أو يؤكد حكما في اسلوب معاصر ، والا مايعين الاديب الكاتب على اختيار الحرف الملائم وذلك بذكر المعاني السائدة لحروف الاضافة .

وسأكون شاكرا لو تفضل المختصون واهل العلم باللغة بتصحيح ماقد يجدون في هذا البحث من خطأ .

ولا أجد حرجا في ان اقول — اخيرا — انني عدت الى بعض ما كتبت في المجلات والصحف فوجدت آثارا من عدوى الفوضى التي تحدثت عنها في أسلوبي ، فزاد ذلك من ايماني بجدوى نشر هذا البحث ، وربما بحوث أخرى في هذا الاتجاه .

يوسف نمر ذياب

— ١ —

للحرف في اللغة معان نذكر منها :

- حرف كل شيء : طرفه وشفيره وحده . وجمعه أحرف وحروف وحِرَفة و « حرف الجبل » : اعلاه وجمعه «حرف» وزان « عنب » .
- وحرفا الرأس : شقاه .
- والحرف : الوجه والطريق ، ومنه : « نزل القرآن على سبعة أحرف » قيل : على سبعة وجوه .

وقوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » — سورة الحج آية ٢٢ — قالوا : على وجه واحد . وهو أن يعبده على السراء دون الضراء .

● وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره •
وقوله تعالى : « الا متحرفا لقتال » ــ سورة الانفال آية ٨ ــ أي : الا مائلا لآجل القتال لا هزيمة •

وتحريف القلم : قطه « محرفا » •

● وحرفت الشيء عن وجهه حرفا : والتشديد مبالغة : غيرته •

● والحرف : أحد حروف التهجي • وقالوا : ان الحروف جميعا مؤنثة • وأجاز بعضهم تذكيرها في الشعر • وقال آخرون بجواز التذكير مطلقا فلك أن تقول : هذه جيم ، أو هذا جيم •

وأما الحروف في المصطلح فهي عندهم ضربان : حروف المباني وحروف المعاني

وحروف المباني هي الحروف التي تبنى

عليها الكلمة ، أي حروف الهجاء [ألف ، باء ، تاء ••• الخ] •

وأما حروف المعاني فقد عرفوها بأنها الكلمات التي لا تدل على معنى في نفسها بل في غيرها • قال النحاة : الكلمة ان دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم • وان اقترنت بزمان فهي الفعل • وان لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف •

ومن حروف المعاني : حروف الاضافة « الجر » وحروف العطف وحروف الاستفهام وحروف النفي وحروف التوكيد ••• وغيرها من المعاني التي يعبر عنها بالحرف •

وقد نجد ما نعترض به على تعريفهم حروف المعاني بأنها الدالة على معنىً في نفسها • فالكاف دالة على التشبيه في نفسها ، والفاء العاطفة دالة

على العطف بترتيب دون تواخ و « لعل » دالة على الترجي • • • الخ •

بل اننا نجد مما عدوا من الاسماء مالا يدل على معنى في نفسه مثل الاسماء الموصولة [الذي ــ ــ التي ــ من ••• الخ] ولهم ــ أعني للنحاة ــ تخريجات وردود على ما اعترضنابه ، ولا نرى ان نفصل القول في ماذكروا من تخريجات أو في موقفنا منها • وحسبنا هنا ان نعلم ما علمنا ن تحديد لمصطلحهم « حروف المعاني » •

ــ ٢ ــ

وحروف الاضافة او حروف الجر من حروف المعاني • ومن سمى هذه الحروف بحروف الجر نظر الى عملها ، فهي تعمل الجر ، كما قيل حروف النصب او حروف الجزم •

ومنهم من قال : ان هذه الحروف سميت بحروف الجر لانها تجر معاني الافعال الى الاسماء أي تضيفها اليها وتوصلها بها • ففي قولك « ذهبت الي البيت » جررت معنى الفعل «الذهاب» الى الاسم « البيت » أو أضفت معنى الذهاب الى البيت •

وقد سمي الكوفيون هذه الحروف بحروف الاضافة ناظرين الى معناها لا الى عملها •

ولنتذكر أن الجر في العربية علامة الاضافة ، سواء كانت الاضافة بحرف أم بدونه • تقول [كتاب محمد] او تقول [كتاب لمحمد] •

وهم يقدرون عند الاضافة حرفا واحدا من حروف الاضافة « اللام » أو « في » او « من » .

فالتقدير في نحو قولك [ثوب رجل] هو [ثوب لرجل] والتقدير في [ثوب حرير] هو [ثوب من حرير] والتقدير في نحو [جلسة الصباح] هو [جلسة في الصباح] . وهكذا .

وللنحوين في سلامة هذا التقدير أراء شتى ، منهم من قال بصواب تقدير احد الحروف الثلاثة التي ذكرنا ، ومنهم من لا يقول الا بتقدير حرف اللام وحده ، ومنهم ن أجاز تقدير اللام و « من » ولم يجز تقدير « في » واخرون قالوا :

ان الاضافة ليست على تقدير حرف أصلا .

ولانرى ان نمنع التقدير ما سلم المعنى ، توضيحا للغرض من الاضافة لا تبريرا للحركة الاعرابية (الجر) في المضاف اليه .

— ٣ —

وحروف الاضافة « الجر » عشرون حرفا ، قال ابن مالك في ألفيته :

هاك حروف الجر وهي : من ، الى ، حتى ، خلا حاشا ، عدا ، في ، عن ، على ، قد ، منذ رب ، اللام ، كي ، ولو ، وتا ، والكاف ، والبا ولعل ، ومتى .

ومنهم من زاد حرفا اخر هو « لولا » اتباعا لمذهب سيبويه ونرى ان تصنف هذه الحروف لاغراض هذا البحث ثلاثة اصناف :

الاول : احرف عدت حروف اضافة عند بعض النحاة ولم تعد كذلك عند بعضهم الاخر : « كي ، ولعل ومتى » أو حروف هي امكن في ابواب اخرى : [خلا ، وحاشا ، وعدا] التي هي للاستثناء ، ولولا التي هي للشرط .

وهذه الاحرف على كل حال ، لم تعد تــرد في أساليبنا المعاصــره احرف اضافة ، ولا جدوى من الوقوف على استخداماتها الشــاذة في بحــث تتوجه به الى غير المختصين .

الثاني : احرف لا لبس ــ الا ما ندر ــ في استعمالاتها ، فلكل منها معنى واحــد أو معــان محددة لاتخرج عليها . وهذه الحروف هي [منذ مذ ، الواو ، التاء ، في القســم ، الكاف ، حتى ، ورب] .

وسنعرف بمعاني هذه الحروف واستعمالاتها .

الثالث: احرف تعددت معانيها وتداخلــت واختلف النحاة بشأنها ، واضطرب المحدثون في استعمالاتها وهذه الاحرف هي : [الباء ، من ، في ، عن ، الى ، اللام ، على] .

وستكون معاني هذه الحروف واستعمالاتها محور هذا البحث .

ــ ٤ ــ

ونذكر فيما ياتي أهم ما ذكروا من معان وخصائص للحروف التي عددنا من الصف الثاني

أ ــ مذ ومنذ: تختصان بالدخول على اسماء الزمان ولا تدخلان على الضمير . فان كان الزمان حاضرا كانت بمعنى « في » ، نحو [ما رأيته منذ يومنا] اي في يومنا . وان كان الزمان ماضيا كانت بمعنــى « من » ، نحو [ما رايته منذ يوم الجمعة] اي مــن يوم الجمعــة .

وقد تضاف الى الجملة نحو [ما رأيته منذ سافر] ، أو [ما رأيته منذ زارنا] .

ب ــ الواو والتاء :

وتختصان بالقسم ولا يجوز ذكر القسم معهما فلا يقال [أقسم والله] بل يقال [والله لننتصرن على أعداء امتنا] ..

ولا يرد القسم بالتاء ـ في الاغلب ـ الا اذا تلاه لفظ الجلالة « الله » (تالله) وقد سمع جرها لالفاظ اخر مثل الربّ والرحمن .

جـ ـ رُبَّ :

وتدخل لافادة التكثير غالبا كحديث [يارب كاسبة في الدنيا عارية في يوم القيامة] وقد تدخل للتقليل أيضا ، قال الشاعر

الارب مولود وليس له أب .

وذي ولدلم يلده أبوان

يشير بصدر البيت الى النبي عيسى ؛ وبعجزه الى آدم . (وربّ) لا تدخل الا على اسم ظاهر نكرة . وقد اختلف النحاة في نوعها بين الاسمية والحرفية .

والسائر ان تعدها حرف جرشبيها بالزائد ونعرف الاسم الذي تدخل عليه اعرابا محليا ، ففي

نحو [رب أخ لم تلده امك] .. نعرب « أخ » اسم مجرور مرفوع لفظا محلا على انه بتدا والجملة [لم تلده امك] جملة الخبر .

وقد تدخل (ما) على « رب » فتكفها عن عمل الجر وأكثر ما تدخل حينئذ على الفعل الماضي نحو [ربما أسأت الظن بصاحبك] وقد تدخل على الجملة الاسمية [ربما نصيحتك نافعة] .

ءـ الكاف :

وهي تستعمل كثيرا للتشبيه ، وتدخل على الظاهر ، ولا تدخل على الضمير الا في الشعر ، فلك أن تقول [كأنت ، كاياك] .

ومنهم من عد الكاف للتعليل في قوله تعالى: « فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم » ـ البقرة / ١٩٨ ـ اي لهدايته اياكم .

ونحسب ان التشبيه مازال يلمح في الآية الكريمة ونحوها ، فالتشبيه عقد مقارنة بين شيئين ، ومعادلة وفي دلالة الآية الكريمة معنى المعادلة بين ذكر الناس الخالق وهدايته اياهم .

ونصوا على ان الكاف زائدة للتوكيد اذا دخلت على كلمة « مثل » كما في قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ـ الشورى / ١١ ـ . وقالوا : ان الكاف قد ترد اسما لاحرف اضافة ، وهم بذلك يؤكدون اشتراك حروف المعاني في بعض استعمالاتها ، والاسماء في كونها ذوات معان في نفسها .

واعرب الكاف حينئذٍ عراب « مثل » فهي فاعل في قول الشاعر :

أتنهون ولن ينهي ذوي شطط

كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

أي : مثل الطعن

وقول المتنبي :

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

أي : مثل العفو

وقد أجاز بعضهم عد الكاف أسما اختيارا ذلك أن تعرب الكاف خبرا للمبتدأ في نحو (حديثها كالشهد) او تعربه حرف اضافة ، حرف جر كما يسميه أهل نظرية العامل في النحو العربي . والجار والمجرور يعربان شبه جملة خبرا ، أو متعلقين بخبر محذوف تقديره كائن أو موجود .

وفياساليبنا المعاصرة ترد الكاف كثيرا فيغير موضعها فهم قد يقولون (انتخب فلان كرئيس للمؤتمر) ، والفصيح الصحيح ان يقال (انتخب

فلان رئيسا للمؤتمر) ، او يقولون (اقول لـك كمخلص) ؛ والفصيح الصحيح ان يقال (اقـول لك مخلصا) .

وقد شاع هذا الخطأ بالترجمة الحرفية
ل AS الانجليزية .

وقد تدخل « ما » للتوكيد علـى الكاف ، فأنه تلاهما مفرد لم تكف الكاف عن كونها اداة اضافة نحو : (نحن ، كما الآخرين ، مخلصـون للثورة ومبادئها) . وان تلتهما جملة اسـية كانت اداة للتشبيه ؛ ولم تعد للاضافة .

قال الشاعر :

أخ ماجـد لـم يخزني يـوم مشـهد
كما سـيف عمرو لم تخنه مضاربـه

وان تلت الكاف بعد « مـا » جملة فعلية عـدت « ما » مصدرية وهي وما بعدها مصدر مـؤول نحـو :

« واذكـروه كما هداكـم » الآية الكريمة اتي مر ذكرها ونحو : [لقـد أخلص القائـد للشعب كما أخلص الشـعب للقائـد] . اي كاخلاص الشعب للقائد .

جـ حتى :

مثل « الى » في الدلالـة على الغـاية والانتهاء وهي لاتدخل الا على ماكان آخرا لما قبله نحو [سـرت ليلة امس حتـى آخرهـا ـ شاهدت المسلـسـل حتى النهاية] . او مـا كان متصلا بآخره نحو قوله تعالى « سـلام هي حتى مطلع الفجر » القدر / ٥ ـ أو قولنا : [شاهدت المسلسل حتى الحلقة الاخيرة] .

وتعد « حتى » حرف اضافة للمصدر المؤول من « أن » المقدرة والفعل المضارع في نحـو [سـنحارب الاعـداء حتـى يسـلموا

بحقوقنا المشروعة] والتقدير [الى أن يسلموا] و « حتى » حينئذ حرف اضافة للمصدر من أن والفعل المؤول بتسليم •

وربما وجد بعض النحاة معنى التعليل في (حتى) كما في نحو [اتق الله حتى تفوز برضاه] ومعنى الغاية مازال بينا في هذه الجملة وهذه الغاية هي الفوز برضا الله •

وقد تأتي (حتى) حرف عطف قليلا ؛ ومن شروط عطفها أن يكون المعطوف جزءا من المعطوف عليه أو كالجزء منه وأن يكون مفردا لاجملة : نحو [يموت الناس حتى الانبياء ــ ساعد المحتاجين اليك حتى المسيئين] ؛ [اعجبني علي حتى ثوبه] ويسون « حتى » حرف ابتداء اذا تلتها جملة وتعد الجملة جملة مستأنفة في نحو : [مافتيء يقول النظم حتى شعر] •

أو قول الشاعر

فما زالت القتلى تمج دماءها
بدجلة حتى ماء دجلة أشكل •

ودلالة حتى على الغاية والانتهاء تلازمها في كل حال •

— ٥ —

يضم الصنف الثالث من حروف الاضافة [الباء ، ومن ، في ، وعن ، والى ، واللام ، وعلى]

ولهذه الاحرف في الاساليب العربية معان متعددة ، وربما جاء حرف منها مكان حرف آخر . وللنحاة والبلاغين مصنفات غير قليلة في هذا الباب . فالبصريون يمنعون النيابة وهم يعللون ما قد يوهم بذلك بعلل منها : وهم الضعيف العلم باللغة أو بتضمين الفعل المذكور معنى فعل آخر يتعدى بنفسه ، أو قد يعللون ذلك لغرض بلاغي .

وأما الكوفيون فانهم لايمنعون القول بنيابة بعض الحروف عن بعض بطريق الوضع ، أي أن الحرف عندهم يستعمل عند وضعه على اكثر من معنى .

وقد نجد من النحاة من لايرى في الحرف الواحد غير معنى واحد . .

ويرى الدكتور ابراهيم السامرائي من المحدثين أن ما ورد من حروف الجر في القرآن الكريم على غير معناه الشائع من المخلفات اللغوية لمرحلة تاريخية سبقت نزول القرآن الكريم ، وما ورد من آيات كريمات من هذا هو من مخلفات العربية القديمة قبل أن تتوحد اللغة .

ولنا رأينا في هذه الآراء لكننا نرى أن نسبق ذكره ومناقشة آراء النحاة والبلاغين ، بعرض لمعاني هذه الحروف . وسنقتصر اولا على

ذكر معاني الحروف الاصلية،لنعقد ـ بعد ذلك ـ أبوابا في معانيها التضمينية ، وفي حذفها أو زيادتها أو تعديتها الافعال .

البـاء : ومن معانيها :

١ ـ الالصاق : وهو المعنى الاصلي لهـا ، وهذا المعنى لايفارقها في جميع معانيها .

والالصاق أما حقيقـي [مسـحت راسـي بيدي] وأما مجازي [مررت بك] . اي بمكان يقرب منك .

٢ـ الاستعانة : وهي الداخلة على المستعان به أي الواسطة التي بها حصـل الفعل [كتبـت بالقلم ـ نجحت بتوفيق الله] .

٣ ـ السببيه والتعليل : وهي الداخلة على سبب الفعل وعلته التي من اجلها حصل : [فكـلا

اخـذنا بذنبـه] العنكبـوت /٤ ـ و (مـات بالجوع) .

٤ـ القسم : ويجوز ذكر فعل القسم معـها وحذفه [اقسم بالله ... بالله لاجتهدن] .

٥ـ العوض : وتسـمى باء المقابلة أيضا ، وهي تدل على تعويض شيء من شيء أي : اخـذ شيء في مقابلة شيء آخر (بعتك هذا بهذا . وخذ الدار بالسيارة) وما دخلت عليه الباء هو المتروك ومنه قوله تعالى : « قال اتستبدلون الذي هـو أدنى بالذي هو خير » ـ البقرة / ٦١ ـ وقوله : « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضـل سـواء السبيل » ـ البقرة / ١٠٨ ـ وقولـه : « واتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ـ النساء/٢ وقوله : «لايحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج » ـ الاحزاب / ٥٢ .

وكثيرا ما يخطيء الكتاب المعاصرون متوهمين ان المتروك هو المفعول التالي للفعل ، فيقول أحدهم مثلا (استبدلت كتابة الشعر بكتابة القصة) • والقائل شاعر صار يكتب القصة والصحيح ان يقال في مثل هذه الحال (استبدلت كتابة القصة بكتابة الشعر) • لأن المتروك هو كتابة الشعر •

ومثل هذا قول الشاعر :

ولي كبد مقروحة من يبيعني

بها كبدا ليست بذات قروح

أباها علي الناس لايشترونها

ومن يشتري ذا علة بصحيح

وقد دخلت الباء في البيتين على المتروك ، الضمير في (بها) و « صحيح » •

٦ـ البدل : وهي التي تدل على اختيار أحد شيئين بلا عوض ولا مقابلة ، كقول بعضهم « ما يسرني اني شهدت بدراً بالعقبة » يريد واقعة بدر وبيعة العقبة على عهد الرسول (ص) •

وقول الشاعر :

فليت لي بهم قوما اذا ركبوا

شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

تعقيب :

يلاحظ التداخل في المعاني التي ذكرت للباء، ففي [مسحت رأسي بيدي] معنى الاستعانة على المسح باليد ، و [نجحت بتوفيق الله] المذكورة مثلا للاستعانة (معنى التعليل والسببية تعليل حصول النجاح بتوفيق الله]• و [عاش بالامل] مثل [مات بالجوع] تختلط فيهما الاستعانة والسببية وقد نلمح في الباء التي للقسم معنى

ولا نرى بين معنى العوض ومعنى البدل من فرق كبير •

فالعوض هو البدل ليس غير •

* ● *

من :

من معانيها :

١ـ الابتداء : اي ابتداء الغاية المكانية او الزمانية • فالأول كقوله تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » ـ الأسراء / ١ ـ والثاني كقوله « لمسجد أسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه » ـ التوبة / ١٠٨ ـ •

وترد « من » لابتداء الغاية في الاحداث والاشخاص نحو عجبت من اقدامك على العمل ـ رأيت من زهير ما أحب) •

٣ ـ التبعيض : وعلامتها ان يخلفها لفظ « بعض » كقوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» ـ آل عمران /٩٣ ـ أي بعض ما تحبون وقوله : « منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » ـ البقرة /٢٥٣ • أي بعضهم•

٣ ـ البيان :

أي بيان الجنس كقوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » ـ الحج / ٣٠ ـ وكثيرا ما تقع « من » البيانية بعد « ما » و «مهما» ومن ذلك قوله تعالى : « مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » ـ فاطر /٣ ـ وقوله : « ما ننسخ من آية » ـ البقرة/١٠٦ ـ وقوله : « مهما تأتنا به من آية » ـ الاعراف / ١٣٢ •

ولانرى نحن معنى البيانية في الايتين الكريمتين الاولين فـ « من » فيهما وردت تعدية للفعلين (يفتح) و (ننسخ) أما في الآية الثالثة فقد عدي الفعل بالباء الداخلة على الضمير ثم بين الضمير بما بعد (من) ؛ و (من) كالزائدة هنا .

ولنلاحظ ايضا اننا قد نلمح معنى التبعيض في (من) البيانية فالاوثان في الآية الكريمة المذكوره بعض من الرجس .

الى :

ومعناها الاصلي هو الانتهاء ، انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية . فالاول كقوله تعالى (ثم أتموا الصيام الى الليل) ــ البقرة/١٨٧ ــ والثاني كقوله [من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى] ــ الاسراء / ١ ــ

وقد اختلفوا في دخول ما بعد « الى » او عدم دخوله في الغاية فاذا قلت [سرت من بغداد

الى الحله] فجائز ان تكون قد دخلت الحله وجائز انك لم تدخلها . وقد اختلفوا في الاجتهاد عند تفسير الآية الكريمة [ثم اتموا الصيام الى الليل] فمنهم من ادخل الليل في تمام الصيام ومنهم من لم يدخله . وهم يذكرون لـ (الى) معنيين آخرين. لايخلوان من معنى الانتهاء وهذان المعنيان هما معنى (مع) الدالة على المصاحبة ، كقوله تعالى [من انصاري الى الله] آل عمران / ٥٢ أي معه وقوله [لاتاكلوا اموالهم الى أموالكم] النساء /٢ وقولهم : [فلان حليم الى ادب وعلم] . والمعنى الثاني هو معنى«عند» وتسمى المبينه وهي التي تقع بعدما يفيد حبا وبغضا من تعجب أو تفضيل كقوله تعالى [قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه] . ــ يوسف /٣٣ ــ أي عندي ، وقول الشاعر :

أم لاسبيل الى الشباب ، وذكره

أشهى الي من الرحيق السلسل

عـــن :

من معانيها

١ ــ المجاوزة والبعد : وهذا أصلها نحو [سرت عن البلد ــ رغبت عن الشر]

٢ ــ معنى بعد : نحو [عن قريب ازورك] قال تعالى [قال عما قليل ليصبحن نادمين] المؤمنون / ٤٠

٣ ــ معنى البدل : كقوله تعالى « واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا » البقرة / ٤٨ ــ

اي بدل نفس .

وتقول ، (قم عني بهذا الامر) أي بدلي .

وتاتي (عن) اسما بمعنى جانب ، وذلك اذا سبقت بـ « من » كقول الشاعر :

فلقد أراني للرماح دريئة

من عن يميني تارة وشمالي

وقول الشاعر الآخر :

وقلت : اجعلي ضوء الفراقد كلها

يمينا ، ومهوى النجم من عن شمالك

على :

من معانيها

(١) ــ الاستعلاء : وهو أصل معناها حقيقة كان أو مجازا كقوله تعالى : « وعليها وعلى الفلك يحملون : ــ المؤمنون / ٢٢ ــ وقوله : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » ــ البقرة / ١٧٧ ــ

(٢) ــ معنى « مع » : كقوله تعالى : « واتى المال على حبه » ــ البقرة / ١٧٧ ــ أي

مع حبه ، وقوله : « وان ربك لـذو مغفـرة للناس على ظلمهم » ـ الرعد / ٦ ـ
أي مع ظلمهم •

(٣) ـ الاستـدراك : كقولك (لم ينفع نصحي معه ، على اني سائل أحذره من مغبة ما يعمل) •

والاستعلاء ملموح في المعنيين « الفرعيين » معنى « مع » ، ومعنى الاستدراك •

وتعـد (على) اسما بمعنى (فوق) ان سبقت بحرف الجر « من » نحو « سقط من على الجبل » •

في :

ومن معانيها :

١ ـ الظرفية زمانية كانت أم مكانية ، مجازية أم حقيقية ، وقد اجتمعت الظرفيتـان

الزمانية والمكانية في قوله تعالى : « غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » ـ سـورة الروم /٢ ـ

٢ ـ المقايسة : وهي الواقعة بين مفصول سابق• وفاضل لاحق كقوله تعالى « فما متـاع الدنيا في الآخرة الا قليل » ـ سورة التوبة / ٣٨ ـ أي بالقياس على الاخرة والنسبة اليها •

اللام :

ومن معانيهـا :

(١) ـ الملك : وما يليها هو الذي يملك ••كقوله تعالى «لله ما في السموات وما في الارض»ـ البقرة /٢٨٤ ـ

وكقولك « الدار لسعيد » •

وقد يسـمون مثل الملك أو شبه الملك اختصاصاً فأن

دخلت اللام بين معنى وذات كانت للاختصاص نحو « الحمد لله ؛ والحق لنا ؛ والنصر للمقاتلين الشجعان » : وان دخلت بين ذاتين سميت شبه الملك ، ان كان ما دخلت عليه لا يملك حقيقة نحو « اللجام للفرس ، والنار للشتاء » .

(٢) ـ التعليل والسببية : كقوله تعالى : « انا نزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراد الله » ، ـ النساء / ١٠٥ ـ

وقول الشاعر :

واني لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

ويسمون ما يشبه هذا التركيب [لام العاقبة أو الصيرورة أو المآل اذا لم يكن ما قبلها سببا لما بعدها ، بل عاقبة له ونتيجة ، ومنه قوله تعالى [فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا] ، وقول الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير الى ذهاب

منهم لم يلتقطوه لذلك : وانما كانت العاقبة ذلك والانسان لا يلد للموت او لا يبني للخراب وانما تكون العاقبة كذلك . لكن العاقبة : ايضا حادثة عن علة وسبب .

(٣) ـ اللام المبينة : وهي التي تبين ان مادخلت عليه مفعول لما قبلها من فعل تعجب أو اسم تفضيل نحو [من يجربني أحب لي من يعرفني عن بعد] ، و [ماأحبني لمن يجربني] فالمتحدث هو المحبوب في الجملتين .

وان أريد العكس دخلت « الى » نحو « من يصدقني أحب الي من يجاملني « و » ماأحبني الي من يصدقني « والمتحدث في هاتين الجملتين هو المحب والاخر المحبوب .

(٤) ــ لام الوقت : لام التاريخ •

نقول [هذا الغلام لسنة •• كتبته لعزة شهر كذا ــ او لست بقين لشهر كذا] •

ــ ٦ ــ

اختلف النحاة والبلاغيون ومفسرو القرآن الكريم في تعليل وتوجيه ما ورد في القرآن الكريم ، من حروف اضافة في أساليب يغلب ان يؤتي بغيرها مكانها في نحو هذه الاساليب •

ومن الامثلة التي يذكرونها الآيات الكريمة الاتية : •

* « ولأصلبنكم في جذوع النخل » سورة طه آية ٧١ ، أي على جذوع النخل •
* « فاسأل به خبيرا » سورة الفرقان آية ٥٩ ، اي عنه •
* « ومانطق عن الهوى » سورة النجم أية ٣ ، اي بالهوى •
* « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض » سورة الحجرات أية ٢ • أي لاتجهروا عليه بالقول •

- « الحمد لله الذي هدانا لهـذا » سورة الأعراف آية ٤٣ ، أي الى هذا •
- « يلقي الروح من امره » سورة غافر آيـة ١٥ ، اي بأمره •
- « عينا يشرب بها عباد الله » سورة الانسان آية ٦ ، اي يشرب منها •
- « أروني ماذا خلقوا من الارض » سورة فاطر آية ٤ ، اي في الارض •
- « ونصرناه من القوم » سورة الانبياء ٧٧ ، أي على القوم •
- « ما خلقناهما الا بالحق » سورة الدخان آ ٣٩ ، أي للحق •

اما الكوفيون فقد قالـوا بالتضمين أي ان الحرف قد يتضمن معنى حرف آخر ، فالحرف « في » قد تضمن معنى على في الآية الاولى ، وتضمن الباء معنى « عن » في الآيـة الثانية ، وتضمن حرف « عن » معنى الباء في الآية الثالثة ، وهكذا في بقية الآيات المذكورة ، وغيرها • مما ورد فيها حرف اضافة تضمن معنى حرف آخر •

وامـا البصريون فقـد منعوا نيابة بعض حروف الاضافة عن بعضها قياسا ، وعللوا الظاهرة بأن الحرفين قـد يتقاربان في الفـائدة فيظـن الضعيف العلم باللغـة أن معناهما واحد وليس كذلك ، وهذا ماذهب اليه الزجاج النحوي ، كما ذكر الدكتور ابراهيم السامرائي •

« وهم عجلون ماقد يوهم من الحروف الى أنه قد ضمن معنى حرف آخر على تضمين الفعل معنـى فعل آخر يتعـدى بذلك الحرف ، وقد

ذهبوا في تفسير هذه الظاهرة فقالوا بالتوسع في الاستعمال،وربما لجأوا الى التفسير البلاغي بشيء قليل او كثير من الصنعة والتكلف » .

والتضمين عند الكوفيين كان « بطريق الوضع ، ومعنى هذا ان الحرف قد وضع لمعان عدة ، وهذا ما خالفوا به البصريين .

ويذهب الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي في بحثه « مقدمة في تاريخ العربية » الذي أخذنا عنه ما ذكرنا من آرائهم ، أقول : يذهب الدكتور السامرائي الى مذهب أخر في تعليل هذه الظاهرة اللغوية فيرى انها تشير « الى ان اللغة العربية في عصر القرآن مازالت تحتفظ بمظاهر لغوية تشير الى المراحل التي انسلخت من هذه اللغة . . . وأن هذه الاستعمالات التي وردت مخالفةللمشهور الكثير الذي حفلت به لغة القرآن ليست الا بقية باقية لاستعمالهذه الادوات قبل ان تاخذ العربية

طريقها الى ان تكون لغة قواعد ثابتة واستعمالات شائعة عامة » .

ونحن لانريد ان نخرج على قصدنا من هذا المبحث ، وهو محاولة تقويم الاساليب المعاصره وتخليصها مما فيها من خطأ واضطراب ، على ان هذا القصد نفسه يحدونا الى مراجعة ماذكرنا من آراء لننتهي الى رأي نزعم انه أسلم منطقا ، واصح تأ ريخا ، وأعم فائدة للغة العربية ، ولنا ، نحن ــ الكتاب والادباء .

اننا لانعتقد ان حروف الاضافة جميعها يتضمن كل منها معنى واحدا لايتعداه،والا اسرفنا في التكلف تخريجا وتعليلا . فليس من علاقةبين معنى « من » الدال على الابتداء في الآية الكريمة : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام » الاسراء /١ــ ، وبين معناه الدال على التبعيض في ا الآية الكريمة : « من المؤمنين رجال

صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومــا بدلوا تبديلا » الاحزاب /٢٣ .

ومثل ذلك نقول في ما بين اللام التيللتعليل « اجتهدت لانجح » واللام التي للملك « الارض لزارعها » من افتقاد العلاقة ، الا على تكلف .

لكننا نراهمقد سموا للحرف الواحد معاني هي متداخلة ومتشابهة ، كما في معنى الباء التي للاستعانة ، والباء التي للسببية والتعليل وعلى اننا لاننكر بقاء بعض المخلفات اللغوية غير المستقرة فيالقرآن الكريم ، وفيالنصوص العربية القديمة ، ولكننا لانرى رأي الدكتور ابراهيم السامرائي في حروف الاضافة التي زعموا انها وردت في غير معناها الشائع . فالتسليم لرأي الاستاذ السامرائي على اطلاقه يسلب ما فيالقرآن الكريم والنصوص العربية من بلاغة مقصودة

تزيد الاسلوب رونقا في الصياغة أو قوة في المعنى وبلاغة في البيان نفتقدها فيه لو جعلنا حرف الاضافة الذي نتوهم ان الحرف المذكور تضمن معناه مكان الحرف الوارد في النص ، أو لو ذهبنا مذهب الدكتور السامرائي فعللنا ذلك بالخطأ المسبب من عدم الاستقرار اللغوي وسنضرب امثلة بايات من القرآن الكريم تؤكد ان التحول من حرف الى أخر ، انما يكون ، في الاغلب ، مقصودا ، وليس محمولا على التضمين ، او على عدم الاستقرار اللغوي .

فيالقرآن الكريم ورد فعل الارسال ، وما يرسل فالى غاية فالحرف « الى » هو المتعلق بهذا الفعل ، في الاشهر ، لكن لنتأمل هذه الآيات الكريمات :

* « ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً» العنكبوت / آية ٣٢ •

* « فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله » المؤمنون / آية ٣٢ •

* « فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة » العنكبوت /آية ٤٠ •

* « إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها » الاحزاب / آية ٩ •

* « وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم » الذاريات / ٤١ •

* « أنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر » القمر / ١٩ •

* « أنا ارسلنا عليهم حاصبا الاآل لوط نجيناهم بسحر » الفجر/٣٤ •

من الواضح ان التحول عن حرف الاضافة « الى » او حرف الاضافة « في » وهو دال ايضا على مكان الارسال مثل « الى » • ان التحول الى الحرف « على »قد حصل اذا كان في الارسال استعلاء وشدة وعقاب ، وقد ترد الباء لتدل على مايصاحب المرسل ، كما في قوله تعالى « ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين» ـ هود/١١

ونجد مثل ذلك في فعل القول ، ففي آيات من القرآن الكريم يتعدى هذا الفعل بـ « على » لا الى حين يراد به الافتراء ، كما في قوله تعالى « وان تقولوا على الله مالاتعلمون » سورة البقرة آية ١٦٩ ، وقوله « ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » النساء/ آية ١٧١ •

واننا نرى ان في التصرف بمعاني الافعال ، او التوسع فيها ، سرا من اسرار العربية ، يدل

على غناها وسعتها ، فالقول ضمن معنى الافتراء بـ « على » ، والفعل « يعشو » تضمن معنى الفعل « يعرض عن » علاوة على معناه في قوله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا » الزخرف / ٣٦ .

وقد تحقق ذلك بالتحول من « يعشو » الى « يعشو عن » ، ولا نرى ان « عن » هنا تضمنت معنى « الى » او ان ورودها كان بسبب عدم الاستقرار اللغوي .

وقد اورد استاذنا الدكتور السامرائي آيات عد ورود حروف الاضافة فيها على غير المشهور من المخلفات اللغوية ، وقلحمل غيره ورودها على التضمين .

ولقد بدأ الاستاذ بذكر الآية الكريمة « ولاصلبنكم في جذوع النخل » سورة طه ٧١ .

ونقل رأي ابن قتيبة ان « في » جاء « في مكان على » من « دخول بعض حروف الصفات مكان بعض » .

وما ذكره الزجاج في « اعراب القرآن » تعليلا لذلك ، ان الصلب في عهد فرعون كان في جذوع النخل وليس عليها .

اما نحن فلا نرى بعد قراءة الآية الكريمة كاملة ، سببا لهذه الحيرة ونص الآية « قال امنتم قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا اشد عذابا وابقى» .

ولانظن ان الصلب الحادث بعد تقطيع الايدي والارجل يمكن ان يتم على جذوع النخل فلا يستقر المصلوبون المقطوعة أعضاؤهم ، ولا سبيل الا ان يكون في جذوع النخل ، اي بينها .

ولم تدخل اللام مكان « على » في قوله تعالى « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » الحجرات /٢ ـ

لان المخاطبين ليس في نيتهم من الجهر بالقول استعلاء على الرسول ، انما هي من طبائع البداوة حين يتحدثون ، فأراد سبحانه أن يعلمهم آداب الخطاب •

ولا يصح الاستدلال بقول العرب : سقط فلان لفيه ، وقول الشاعر :

تناولت بالرمح الطويل ثيابه

فخر صريعا لليدين وللفم

اننا نرى أن مذهب الدكتور السامرائي ، لا يعدم شواهد ، وان لم نجده سليما في تعميمه • ونحن أن أكثر ما حدث من اختلاط عندهم بين حرفي الاضافة اللام « والى » وبين حرفي الباء »

و « في » ، وربما لتقارب نطقهما الصوتي • ومازال هذا الالتباس سائدا في أساليبنا •

وفي ضوء رأينا هذا نرى أن اللام في القول، واللام في الشعر جاءتا مكان « الى » في الحالين، والحرفان فيهما يدلان على غاية السقوط ، لا على مكان استعلاء الساقط • ألا ترى أننا نقول (سقط على يديه) و (سقط على الارض) غير معنى أن نقول (سقط الى يديه) و (سقط الى الارض) •

وفي القرآن الكريم شواهد على ما بين اللام و (الى) وما بين الباء و (في) من تداخل • فاللام دل على الغاية ، والباء دال على الظرفية في الايات الكريمة الاتية :

● «اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا» ـ الاسراء /١٠٧ ـ •

اللام هنا مكان « الى » لامكان « على »

● « بأن ربك أوحى لها » ــ الزلزلة /٥ ــ أي اليها • وأكثر ما ورد الفعل « أوحى » في القرآن الكريم متلوا بـ « الى » ومن ذلك «فأوحى اليهم ربهم » ــ ابراهيم /١٣ ــ و « وأوحى ربك الى النحل » ــ النحل /٨ ــ ٦ « ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة » ــ الاسراء /٣٩ ــ •

● «كل يجري لاجل مسمى» ــ الرعد /٢ــ أي الى أجل •

● « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » ــ الانعام /٢٨ ــ أي الى مانهوا عنه •

● « ولقد نصركم الله ببدر » ــ آل عمران /١٢٣ ــ أي في بدر •

● « وما كنت بجانب الغربي » ــ القصص/ ١٤ ــ أي في جانب الغربي •

● « ونجيناهم بسحر » ــ القمر /٣٤ ــ أي في سحر •

● «وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل» ــ الصافات /١٣٧ ــ أي في الليل •

وما زلنا في أساليبنا المعاصرة تنحو هذا المنحى ؛ فنقول « أذهب للبيت » و « نظرت للصورة » و « ولد ببغداد » و « دخل بالغرفة » •

ولنا في الايات الكريمات مما ذكر الاستاذ السامرائي ، أو أغلبها ، رأي نأخذ في تعليل ما جاء فيها من حروف اضافة بالتعليل البلاغي ، لان التعليل التاريخي ليس موثقا ، أولا ، وهو ثمه التعليل بالتضمين ؛ في محصلته مما يحجب عن المتأمل في النص القرآني قوة البيان وروعة البلاغة • وعسى أن يتاح لنا العودة الى مناقشة هذه المسألة في مناسبة أخرى •

ومهما يكن من أمر فمن رأينا أن يلتزم الادباء والكتاب بأيراد حروف الاضافة في معانيها المشهورة ، فأن خرجوا عليها ، فلهم ذلك ، على أن يتبين القاريء أو السامع الغرض البلاغي ، من تحولهم عن حرف اضافة الى آخر ، والا عد القائل مخطئا ، أو جاهلا بمعاني هذه الحروف ، أو ملتبسا عليه ما يتعدى به هذا الفعل أو ذاك .

وزيادة في الايضاح نذكر أن المتنبي حين خاطب سيف الدولة في أمر بني كلاب الذين عصوه فأخذهم بالقوة .. لم يقل ترفق بهم ، راجيا من الامير العفو عنهم ، بل قال :

ترفق أيها المولى عليهم
فأن الرفق بالجاني عتاب
وانهم عبيدك حيث كانوا
اذا تدعوا لحادثة أجابوا

لكنك لو قلت « ترفق على ولدك » لكنت مخطئا ، فليس في الترفق بالولد استعلاء .

وقبل المتنبي قال أحد الشعراء :

اذا رضيت علي بنو قشير
لعمر الله أعجبني رضاها

وقد قال الشاعر « رضيت عليّ » ولم يقل « رضيت عني » لا توهما ولا من باب تضمين حرف معنى حرف آخر — في زعمهم — انما كان يريد أن يدلل على أن رضا القبيلة ، ليس الرضا « الاعتيادي » انما هو رضا المفضل المتعلي .

ولو قال أحدنا «رضيت على حبيبتي» ، لما استسيغ قوله ، وان زعم أنه يضمن « على » معنى « عن .

و « النيابة » عند الدكتور السامرائي في معنى التضمين ، ولذلك رأيت أن أعدي الفعل « ناب » بحروف اضافة متعددة ، تاركا للقاريء أن يميز بين دلالات الفعل المختلفة باختلاف الحروف :

- ناب فلان عن زملائه في الاجتماع .
- ناب فلان بزملائه في الاجتماع .
- ناب فلان لزملائه في الاجتماع .
- ناب فلان على زملائه في الاجتماع .

— ٧ —

وحروف الاضافة قد تزاد في الاساليب العربية ، لفائدة / وقد تحذف .

- يزاد الحرف « من » مفيدا التوكيد والتعميم ، ولايزاد هذا الحرف ما لم يتقدمه نفي أو نهي أو استفهام بـ « هل » ، على أن يكون ما دخل عليه الحرف نكرة ، فاعلا أو مفعولا به أو مبتدأ أو ما أصله مبتدأ .

ومن زيادتها في القرآن الكريم :

« فمالنا من شافعين » ـ الشعراء /١٠٠ ـ

و « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ـ الملك / ٦٧ ـ

و « فأرجع البصر هل ترى من فطور » ـ الملك /٣ ـ

ومن زيادتها في الشعر ، قول الشـاعر :

فهل من مقام اشتكى غربة النوى
وخوف العـدى فيه اليك سبيل

● ويزاد الباء في خبر «ليس» و « ما » نحو قوله تعالى :

«أليس الله بأحكم الحاكمين» ـ التين/٨ ـ وقوله : «وما ربك بظلام للعبيد» ـ فصلت/٤٦ـ ونحو قول النابغة الذبياني :

تطاول حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذي يرعى النجوم بآيب

وتزاد الباء كذلك قبل المبتدأ اذا كان لفظ « حسب » أو جاءت بعد كيف أو بعد اذا الفجائية نحو قولنا [بحسبك ما نلت من تقـدير ـ كيف بك ، اذا كنت لا تسمع النصيحة ـ نظرت فاذا بمحمد مقبلا أو مقبل] ـ النصب على الحالية ،

والرفع على الخبرية للمبتدأ •

ومن مواضع زيادة الباء بعد لفظ « ناهيك » نحو « ان أحمد شاعر مجيد ناهيك به ناثرا » •

وكذلك بعد فاعل « كفى » أو مفعوله ، نحو قوله تعالى : « وكفى بالله شهيدا » ونحو الحديث الشريف « كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل مـا سمع » ، وأن وما بعدها هو فاعل « كفى » ان دخلت الباء على مفعوله ، كما في الحديث الشريف، وكقول المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيـا

وتزاد الباء على مفاعيل [عرف ـ علم ـ درى ـ جهل ـ سمع ـ أحس] ، تقول [عرفت بالامر ، وعلمت به] وهكذا ، وليس لك أن تزيد الباء على مفاعيل غير هذه الافعال ، قياسا عليها •

وتعد الباء زائدة وجوبا في صيغة «أفعل به» التي للعجب ؛ قال الشاعر :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقد يزيدون الباء قبل التوكيد بالنفس والعين ؛ نحو قولهم « زارنا الرئيس بنفسه » •

وقد زيدت الباء سماعا في المفعول به لتقوية تعدية الفعل ، نحو قوله تعالى « وهزي اليك بجذع النخلة » •

وقوله : « فليمدد بسبب الى السماء » • ــ الحج /١٥ ــ وكذلك زيدت الباء على الحال المنفي عاملها في قول الشاعر :

فما رجعت بخائبة ركاب

حكيم بن المسيب منتهاها

وعد بعضهم هذه الزيادة سماعية ، وأجاز آخرون القياس عليها ، وذكر الزجاج آيات من القرآت الكريم عد فيها الباء داخلة على الحال ، ومن هذه المواضع « ونحن نسبح بحمدك ــ مريم /١٢ ــ وبالحق انزلناه وبالحق نزل ــ الاسراء /١٠٥ ــ يا يحيى خذ الكتاب بقوة » مريم /١٢ خذوا ما آتيناكم بقوة ــ البقرة ٩٣/٦٣ ؛ وفي هذه الباء أوجه للتعليل ، فقد تكون للتعدية أو التعليل أو الاستعانة •

وقد استباح المحدثون ادخال الباء على الحال ، لا قياسا على النصوص العربية ، بل تأثرا بالترجمة عن الانكليزية فـ with مترجمة بالباء ، نحو He Said withplesure التي ترجمت بـ « قال بسرور » •• وشاع نحو « تحدث بغضب ــ رأيته بابتسامته المعهودة » •

وكان عليهم أن يقولوا « قال مسرورا ، تحدث غاضبا ، رأيته مبتسما » ..

ومن أخطاء الاساليب المعاصرة أنهم يزيدون الباء قبل مفاعيل بعض الافعال غير المتعدية بها ، اذا جاءت هذه المفاعيل مصادر مؤولة كأن يقولوا [أجبت بأن أذهب ــ أردت بأن أخبرك ــ تأكدت بأنك محق .. أكدت له بأن النصر حليفنا] .

وقد ذكرنا الافعال التي تلحق الباء مفاعيلها، صريحة أو مؤولة . وما على الكاتب الا أن يعدي الفعل الى مفعول صريح ، فان لم يستسغ دخول الباء عليه ، لم يجز ادخال الباء على مصدره المؤول ، فليس من أحد يستسيغ مثلا [أجبت بالذهاب] ولا [أردت بأخبارك] يريد [أحببت الذهاب وأردت اخبارك] .

● وقد أجازوا زيادة اللام قياسا في مفعول تأخر عنه فعله تقوية للفعل المتأخر لضعفه بالتأخر

نحو قوله تعالى « الذين هم لربهم يرهبون الاعراف /١٥٤ ، والاصل : ربهم يرهبون ، وتزاد اللام كذلك في مفعول المشتق تقوية له ، نحو قوله تعالى «مصدقا لما معهم» ــ البقرة /٩١ــ أي مصدقاما معهم ،وقوله:«أن ربك» فعال لما يريد»ــ هود /١١٨ ــ أي فعال ما يريد ، ونحو قول الشاعر الذي مر « ومدمن القرع للابواب » .. ، أي مد من القرع الابواب . أما في الاساليب المعاصرة ، فقد حفلت بزيادة اللام في مفعول المصدر كأن يقولوا [نظمك للقصيدة وكتابتك للمقالة، وتأكيدك للمسألة ، وتصديقك للخبر] .

وليس في هذه الزيادة جمال ولا لها مسوغ. ونرى ان يتحاشاها الادباء والكتاب .

أما مواضع حذف حرف الاضافة فانها أقل عددا من مواضع زيادتها .

لقد أجازوا حذف حرف الاضافة قياسا بعد أفعال تتعدى بها ، اذا جاء مفعولها مؤولا بعد [أنْ] و [أنّ] •

نحو قوله تعالى : [وعجبوا أن جاءهم منذر منهم] أي لان جاءهم •

وقوله : « شهد الله أنه لا اله الا هو » أي شهد بانه •

وقوله : « ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة » أي بأن تذبحوا •

وقوله : [ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم] أي في أن تبتغوا •

وقول الشاعر :

الله يعلم أنّا لا نحبكم
ولا تلومكم أن لا تحبونا

أي ولا تلومكم على أن لا تحبونا •

وهم يمنعون مثل هذا الحذف ان لم يؤمن اللبس فان قلت [رغبت أن اذهب] لم يتضح للسامع انك رغبت عن الذهاب أو رغبت فيه ، فعليك في مثل هذه الحال ذكر حرف الاضافة المفصح ، الا اذا قصدت الغموض •

وقد عدّ أكثرهم حذف حرف الاضافة سماعيا في أفعال كان حقها أن تتعدى بها فجاء ما بعدها منصوبا على ما سمي بنزع الخافض ومن ذلك قوله تعالى •

[الا ان ثمود كفروا ربّهم] أي بربهم •
ـ هود /٦٨ ـ

وقوله :

[واختار موسى قومه سبعين رجلا] ـ
الاعراف /١١٥ ـ

أي من قومه • وقول الشاعر •

تمرون الديار ولـم تعوجوا
كلامكـم علي اذن حـرام

أي تمرون بالديار ، وقول الاخر :

أمرتك الخير ، فافعل ما أمرت به
فقد تركتك ذا مال ، وذا نشب

وقول غيره :

استغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد ، اليه الوجه والعمل

أي استغفر الله من ذنب •

ولنلاحظ ان الفعل « كفر » في الاصل متعد بنفسه ، ومعناه غطي البذر ، وقيل للفلاح كافر، فليس من نزع للخافض في الاية •• ولا قياس على « واختار موسى قومه » •• أما الافعال : مرّ ، وأمر واستغفر ، فأننا نرى جواز القياس في نزع

خافض مفعولها ، ما وجد المنشيء ذلك رائعا •

وقياسا على قاعدة جواز حذف لفظة أو أكثر اذا فهمت بسياق الكلام ومقتضى الحال جاز حذف الجار والمجرور • ومن ذلك قوله تعالى « ذلك الذي يبشر الله عباده » ـ الشورى/٢٣ـ أي يبشر الله بـه عباده •

— ٨ —

لعل من المفيد ان أختم بحثي هذا بثبت لبعض الاساليب المعاصرة التي أرى أن يتحاشاها الكتاب والادباء • وقد يجد المتخصصون باللغة في هذا الاسلوب أو ذاك مما سأذكر وجها للتخريج والتأويل ، ولذلك أقول : انني اعتمدت في هذا الثبت على أمرين ، أولهما السلامة اللغوية دونما تكلف في التخريج والتأويل ، ودونما قياس على النادر الشاذ من الاساليب العربية المسموعة •

وثاني الامرين : استشارة الذوق الادبي في قبول الاسلوب المعاصر أو رفضه •

وبين الامرين — السلامة اللغوية وجمال الاسلوب — سبب متين • وقد رأيت أن استعير طريقة المرحوم الدكتور مصطفى جواد في كتابه « قل ولا تقل » ، لكني لم أذكر كل ما ذكر من

اساليب في هذا الموضوع ، لمخالفتي اياه في ما لم أذكر ، وقد زدت عليه ، وما زدته من أساليب أكثر مما ذكر ، فكتاب « قل ولا تقل » عام ، وهذا الكتاب اختص بحروف الاضافة وأساليبها • وآمل أن يجد المتخصصون باللغة العربية والمهتمون بها في هذا البحث مناسبة لبعث حركة التصحيح اللغوي والاسلوبي ، بالاستدراك على ما جاء فيه، والزيادة عليه ، والاسهام في نشر بحوث في موضوعات أخرى ، غير حروف الاضافة •

* ● *

● قل :

(كنت مدة من الزمن) و (بقي هذا الواقع مرحلة) و (رأيته أول مرة) و (انتظرته ساعتين) و (استغربت أول وهلة) و (بقيت في البصرة سنتين) و (لو زارني يوما واحدا) •

ولا تقل :

كنت لمدة من الزمن ، بقي هـذا الواقـع لمرحلة .. لاول مرة .. لساعتين .. لاول وهلة.. لسنتين .. ليوم واحـد .

ان اللام في هذه الاساليب ترجمة فاسدة لـ « for » الانجليزية فقولهم I waited you for two hours قد ترجم « انتظرتك لساعتين » ـ والفصيح الجميل لو ترجمت « انتظرتك ساعتين » .

● قـل :

(عمل رئيسا للمؤسسة) و (أعرب فلان ، ناطقا باسم المؤتمر ، عن ثقته بنجاحه) و (عليك ، صديقا مخلصا ، أن تمنع الاذى عني) .

ولا تقـل :

عمل كرئيس للمؤسسة ، أعرب فلان كناطق باسم المؤتمر ، عليك كصديق مخلص ..

ان الكاف التي هي في العربية للتشبيه وردت في هذه الاساليب ، مترجمة « حرفيا » عن AS الانجليزية .

● قـل :

(أردت أن أوضح المسألة) و (أحببت أن أبين رأيي) (أكد أنه سيسافر) و (وجدت أنك محق) و (قلت اني راحل) .

ولا تقـل :

أردت بأن أوضح ، أحببت بأن .. أكـد بأنه .. وجدت بأنك .. وقلت بأني راحل .

ان هذه الافعال لا تتعدى بالباء ، ولم يسمع زيادتها على مفاعيل هذه الافعال صريحة أو مؤولة.

● قـل :

(في حقيقة الامر ، ان حديثكم ممتع) و (في

ضوء ذلك قد أصرف النظر عن المسألة) •
ولا تقـل :

(في حقيقة الامر فان حديثكم ممتع) (ولا في ضوء ذلك فقد أصرف النظر عن المسألة) •

ان زيادة الفاء العاطفة قد فصلت بين الجار والمجرور وبين ما يتعلقان به •• وهي زيادة مخلة بالسلامة اللغوية ، ولا جمال فيها •

● قـل :

(على الرغم) و (على أي حال) و (على أنك مقصر كنت حسن النية) •
ولا تقـل :

بالرغم أو رغم ، باي حال ، مع أنك مقصر •

وضابط صحة ايراد « على » في هـذه الاساليب ونحوها ، أنك بهذا الحرف تدل على التجاوز ، والتجاوز استعلاء ، فأنت حين تقـول

[على الرغم من تفوق الاعداء عددا علينا اننا منتصرون] أو تقول [على أي حال سنعيد أرضنا المغتصبة] أو تقول [على أنك مقصر ، كنت حسن النيـة] ••

انما نريد استعلاء واقع كائن أو سيكون على واقـع ماثل •

● قـل :

في الاقل ، في الاعـم ، وفي الاغلب ، في الغالب ، في ضوء ذلك •
ولا تقـل :

على الاقل •• بالاقل •• على الاعـم •• بالاعم •• بضوء ذلك ، على ضوء ذلك •

الاوجه لدخول «على» أو الباء، فليس من استعلاء أو استعانة في نحو قولك «في الاقل انني زميلك»،

انما تدل بهذه الالفاظ ونحوها على الظرفية . وفي « أداتهــا » .

● قــل :

لمناسبة ذكرى الثورة تلقى الرئيــس برقيات تهنئــة .

ولا تقــل :

بمناسبة / في مناسبة ..

فالبرقيات أرسلت « من أجل » ، ولاوجه لدخول الباء ، وأن أردت الدلالة على الظرفية الزمانية لارسال البرقيات جاز ورود « في » . والسببية أرجح .

● قــل :

لانك صديقي ساغفرلك اساءتك .

ولا تقــل :

بما أنك صديقي فساغفرلك اساءتك .

« اللام » عللت الغفران ، ولاوجه للباء في نحو هذه الجملة ، ولا نرى وجها للفصل بين الجار والمجرور ، حرف الاضافة والمصدر المؤول، وبين جملة « سأغفر .. » بحرف العطف « الفاء » .

● قــل :

سيحتفل في قاعة الجامعة المستنصرية

ولا تقــل :

سيحتفل على قاعة الجامعة المستنصرية .

لان « في » للظرفية المكانية والزمانية .

● قــل :

(يذيع نشرة الاخبار فيكم ...) و (ألقى الشاعر ... قصيدة في المحتفلين) .

ولا تقــل :

(يذيع نشرة الاخبار ... عليكم) و (ألقى الشاعر ... قصيدة على المحتفلين) .

● وقـل :

(وزع فيهم الجوائز) و (تلا فيهم آيات من القرآن الكريم) .

ولا تقـل :

(وزع عليهم الجوائز) و (تلا عليهم آيات من القرآن الكريم) .

انك في هذه الجمل ونحوها تذكر ظرفية الحدث ، فان كان في الحدث سوء للمتلقي جاز أن تكون « على » مكان « في » ، كأن تقول : (قرئ على المتهم حكم تجريمه) .

● قـل :

أسفت على صديقي .

ولا تقـل :

أسفت لصديقي .

الاسف : الحزن والغضب لا الندم ، قال تعالى : «وتولى عنهم وقال : يا أسفا على يوسف» ـ يوسف / ٨٤ ـ .

● قـل :

أكدت الشيء على فلان .

ولا تقـل :

أكدت على الشيء .

● قـل :

تاكدت الشيء تاكدا

ولا تقـل :

تاكدت من الشيء

لان العرب تستعمل « من » عند استعمال المصدر أو الاسم لوصلها بما يفيد المعنى مثل

« أنا على بيّنة من هذا الامر ، وأنتم على ثقة من أمركـم » •

● قــل :

(ان انشادك الشعر مطرب) و (كتابتك المقالة موفقة) و (وحضورك الاجتماع ضرورة) •

ولا تقــل :

(ان انشادك للشعر مطرب) أو (كتابتك للمقالة موفقة) و (حضورك للاجتماع ضرورة)

لقد مرّ في ثنايا البحث أنهم يدخلون اللام على المفعول المتقدم على فعله ، أو يدخلونها على مفعول المشتق للتقوية • ولم أجد أنهم يدخلونها على مفعول المصدر وفي حذف اللام زيـادة في متانة العبارة ورونقهـا •

● قــل :

(أجب عن خمسة أسئلة) و (جوابي عن تساؤلك هو ••)

ولا تقــل :

(أجب على خمسة أسئلة) و (جوابي على تساؤلك) • اذ ليس في جواب الطالب عن أسئلة الامتحان ، أو في الجواب عن التساؤل معنى الردّ والتفنيد ، فأن أردت هذا المعنى جاز أن تكون (على) مكان (عن) ، كقولك (أجبت على اتهاماته الباطلة) •

● قــل :

اعتذر فلان من الذنب ، اعتذر فلان عن فلان من الذنب •

ولا تقــل :

اعتذر عن الذنب •

● قــل :

ردّ فلان الادعاء ، ورددت عليـه ادعاءه ورددته الى وعيـه •

ولا تقـل :

رد فلان على الادعاء ، فالرد لا يكون على الحـدث بل على محدثه .

● قـل :

أثر في الشيء ، والتأثير فيه .

ولا تقـل :

أثر على الشيء ، والتأثير عليـه .

فالاثر حاصل داخل الشيء لا فوقـه .

● قـل :

كشفت عن مآربه .

ولا تقـل :

كشفت مآربـه

فأنت تكشف الثوب عن الجسم ولا تكشف الجسـم مثلما تكشف الزيف عن المآرب الخبيثة .

● قـل :

ينبغي لك أن تقول .

ولا تقـل :

ينبغي عليك أن تقول .

فالفعل (ينبغي) بمعنى يحسن ، ولا كراهية أو استعلاء مع التزام الحسن .

● قـل :

استبدلت الدار بالسيارة .

ولا تقـل :

استبدلت بالدار السيارة .

اذا كان ما تركت السيارة ، والدار ما أخذت بدلا عنهـا .

● قـل :

(اضافة الى ما ذكرنا) .

ولا تقـل :

والصواب (اذ كان عليك) ـ لانك تريد الظرفية الزمانية لا المكانية .

أما دخول الباء على حيث في نحو الجملة التي ذكرنا ، فهو خطأ على خطأ . فليس للباء ولا لـ « حيث » وجه من السلامة أو التأويل ، لانك تريد الدلالة على الغاية . وقد يقال « في حيث » و « من حيث » ، و « الى حيث » ودخول «في» تاكيد ظرفيتها ، وقد ضمن البحتري الباء معنى « في » فقال :

فاتبعتها أخرى فاضللت نصلها

بحيث يكون اللب والرعب والحقد

يريد أضاع النصل في مكان القلب .

● قال :

(لقي فلان فلانا) و (التقى فلان وفلان) و (تلاقى فلان وفلان) .

(اضافة على ما ذكرنا) ولا (اضافة لما ذكرنا) .

الاضافة : الاجازة من خوف ، والامالة والنسبة : وهي أيضا ضم الشيء الى الشيء . وينظر الى المعنى الاخير في الاضاف الى قوله.. واضافة الى ما ذكرنا) .

● قال :

أكثر من الفخر بنفسه حتى سخر منه السامعون .

ولا تقل :

أكثر من الفخر بنفسه بحيث سخر منه السامعون .

ان (حيث) ظرف للمكان ، ويكثر ايرادها في الاساليب المعاصرة ، خطأ ، مكان (اذا) نحو قولهم : «لقد تحدثت حيث كان عليك أن تصمت»،

ولا تقــل :

(التقى فلان بفلان) ولا (التقى فلان فلانا) ولا (التقى فلان مع فلان) فالفعل (التقى) فعل لازم يدل على المشاركة مثل الفعل (اجتمع) ولابد من العطف على فاعله أن كان مفردا • ولا صحة في تعديته ، أو مجيء « مع » بعده ولك أن تقول (تلقى فلان فلانا) أي استقبله •

وفي القرآن الكريم « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله » ــ آل عمــران ــ ١٦٦ ــ وفاعله المثنى دل على المشاركة •

● قــل :

على أنني لم أقرأ شعرا لك من قبــل ، ان قصيدتك تكشف عن شاعر مقتدر •

ولا تقــل :

مع أنني لم أقــرأ شعرا لك من قبل فان قصيدتك ••• الخ

انك تريد الاستدراك على رأيك في القصيدة
ولا تريد الظرفية ، ولا علة للفصل بالفــاء بــ
جملة الاستدراك وجملة الاسناد الاصلية •

● قــل :

(قال مفتخرا) و (غادر المكان غاضبا)
(أقبل مبتــسا) •

ولا تقــل :

(قال بفخر) و (غــادر المكان بغضب)
(أقبل بابتسامة) •

لانك تريد الدلالة على الحالية لا المصاحبة
ولا نرى أن يكون الجار والمجرور في مثل هــ
الجمل حالا •

● قــل :

(أخطأ في رأيه) و (أحب الفتاة)

ولا تقــل :

(وقع في الخطأ برأيه) ولا (وقع في الحب"••)
ان الاسلوب (وقع في ••) ترجمة فاسدة لـ
Fall in الانجليزية •

● قـل :

تأملت الشيء •

ولا تقـل :

(تأملت في الشيء) ولا (تأملت بالشيء) •
فتأمل الشيء ، تدبره ، وهو اعادة النظر فيه مرة بعد أخرى ، حتى تعرفه •

● قـل :

نظرت الى الشيء ، وفيه

ولا تقـل :

نظرت للشيء •

اذ لا ضرورة لتضمين اللام معنى « الى » في تعدية هذا الفعل ونحوه •

مثل : (التفت الى •• ذهب الى •• عاد الى ••) •

● قـل :

نوّهت بالامر

ولا تقـل :

نوهت عنـه •

والتّنويه بالشيء رفع ذكره •

● قـل :

أخبرك ، مؤكدا ، أن الامر كـذا •

ولا تقـل :

أخبرك بأن الامر ـ بالتأكيد ـ كـذا •

● قـل :

اعتمدت على عدة مصادر في بحثي

ولا تقـل :

اعتمدت مصادر عدة في بحثي .

والمصادر معتمد عليها ، وليست معتمدة .

المصادر والمراجع :

حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك .

اعراب القرآن للزجاج .

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم / محمد فوآد عبدالباقي .

جامع الدروس العربية / مصطفى الغلاييني .

مقدمة في تاريخ العربية / د . ابراهيم السامرائي .

النحو الاعدادي / احمد ناجي القيسي .

بيان طبيعة الاستعمال القرآني للحروف العاملة بلاغيا / د . هادي عطية مطر .

(بحث في مجلة كلية التربية ــ جامعة البصرة : العدد الرابع ١٩٨١ .

قل ولا تقل : د . مصطفى جواد .
مدرسة الكوفة : د . مهدي المخزومي .
احياء النحو : ابراهيم مصطفى .
لسان العرب / ابن منظور .
المصباح المنير / أحمد بن محمد الفيومي .
مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي .